أَلتَّخَصُّصُ في مِنْظَارِ القُرآنِ الْكَرِيمِ

د. أحمد الشريف طبي

فحوى البحث

في هذا البحث سيسلط الباحث الضوء على مسألة التخصص بشكل عام من حيث التعريف و الاهمية والآثار، سيخصص الجزء الاكبر منه لدراسة هذه الظاهرة في القرآن الكريم.

فهل تناول القرآن مسألة التخصص او تعرض لها في آياته الكريمة؟. وكيف نستدل على مسألة التخصص من خلال توجيهات القرآن؟. وهل توجد تطبيقات لهذه التوجيهات في سيرة المعصومين عليهم السلام باعتبارهم القرآن الناطق و الترجمان الكامل والصحيح للقرآن ومبادئه؟. أسئلة يجيب عنها البحث مستنداً الى آي القرآن الكريم

لقد حدد العلماء الذين يدرسون الحضارات والمجتمعات البشرية وتطورها، عدة معايير لتحديد مدى التقدم والرقي الذي وصلت اليه هذه الحضارات والمجتمعات الانسانية، حيث كان التقدم العلمي والمنتوج الثقافي الذي تفرزه السمة البارزة في تحديد هذا الرقي، حيث يمكننا من خلال دراسة الاثار العلمية المتوفرة في مجتمع ما ومدى تأثيرها في تقدم الانسانية ودفع عجلة التطور البشري من تصنيف هذا المجتمع او ذاك ضمن المجتمعات المتطورة.

يبقى فقط ان نبين ان التطور الذي وصلت اليه هذه العلوم في هذه المجتمعات، وانما يتجلى في كثرة توسع العلوم وتشعبها وكثرة التخصصات في شتى المجالات العلمية، والتي ان دلت على شيء فانما تدل على مستوى الدقة والفهم العميق الذي وصل اليه العقل البشري من خلال التمكن من حل جميع المعضلات العلمية وتنشيط الدورة المعرفية والسيطرة على المصاعب الحياتية وتذليلها من خلال تسخير العلم لخدمة الانسان في مختلف جوانب حياته وهذا لايتسنى الا من خلال التخصص في العلوم والتدقيق في جزئياتها وعدم الاكتفاء بالعموميات.

بيان المفاهيم اللغوية والاصطلاحية:

القرآن:

القرآن أو القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على النبي محمد للبيان والاعجاز، المنقول عنه بالتواتر والذي يتعبد المسلمون بتلاوته[1].

السنّة:

تطلق السنة في اللغة ويراد بها السيرة او السيرة الحسنة[2] قال الخطابي الاديب المعروف السنة هي الطريقة المحمودة فاذا اطلقت انصرفت اليها[3].

اما في الاصطلاح فيراد بها قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام والذي يكون منشأ للحكم الشرعي اما الالفاظ التي تحكي وتنقل السنة فتسمى بالحديث، الخبر

(١) ابن الجزري، شمس الدين، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص١٢٠.
(٢) ابن منظور، لسان العرب ج١٣، ص٢٢٥.
(٣) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، ج٧، ص٣٢٧.

والاثر[٤].

العلم:

العِلْمُ، بالمفهوم الشامل للكلمة، هو كل نوع من المعارف او التطبيقات. وهو مجموع مسائل واصول كليّة تدور حول موضوع او ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي الى النظريات والقوانين[٥].

التخصص:

التخصص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم، والتعمم، والتعميم[٦] هذا ولصاحب التحقيق في كلمات القرآن بحثاً شاملاً في اصل الكلمة:

والتحقيق ان الاصل الواحد في هذه المادة هو الانتساب الى شيء والتفرد به دون غيره، يقال كما في اللسان: خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصاً وخصوصية و خصوصية، والفتح افصح، وخصيصي، وخصصه واختصه: افرده به دون غيره.

واما مفهوم الحاجة والفقر والخلة: فمن لوازم ذلك الاصل، وبمناسبة الحالة المخصوصة وبلحاظ خصوصية في جريان امور تعيشه، خارجاً عن الجريان العادي والمجرى العمومي الطبيعي، وتلك هي حالة المضيقة والفقر.

واما الفرجة والثلمة: فالمراد كل مورد من التفاريج يوجب تلك الحالة الخاصة في ذي الفرجة او ينشأ من تلك الحالة، كالخلل الموجودة في باب او منخل او غيرهما، فلا يطلق على كل فرجة لفظ الخصاص، بل على خلة او خرقة تلازم الخصاصة ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[سورة الحشر: ٩] أي و لو كانت فيهم حالة خاصة منفردة بها من غيرهم ومن الذين يؤثرونهم.

ولا يخفى ما في التعبير بالخصاصة دون الفقر والمضيقة والحاجة وغيرها من اللطف، فان الخصاصة ابلغ منها والطف واحكم واشمل.

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[سورة الانفال: ٢٥]

(٤) رضا مؤدب، دروس في علم الدراية، ص٢٥.

(٥) المعجم الوجيز، مادة «علم» ص٤٣٢.

(٦) الاصفهاني، راغب مفردات الفاظ القرآن الكريم، ص٢٨٤.

أي لينفرد الظالمون بها وتختص بهم فقط بل تعمهم وغيرهم منكم.

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥] قلنا ان افتعل يدل على المطاوعة والرغبة والجري على مقتضى الارادة، فالمعنى: يخص برحمته من يشاء جرياً على رغبته ومقتضى مشيته وارادته. وفي التعبير بهذه الصيغة اشارة الى ان الخص بالرحمة بمقتضى علمه بالصلاح والاستحقاق(٧).

خصص: خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصاً وخَصوصيـــة وخُصوصية، والفتح افصـــح، وخصيصي وخصصه واختصه: افرده به دون غيره. ويقال: اختص فلان بالامر وتخصص له اذا انفرد، وخص غيره واختصه ببره. يقال: فلان مخص بفلان أي خاص به.

والاسم الخَصوصيـــة والخُصوصية والخصية والخاصة و الخصيصي(٨).

خلاصة الابحاث اللغوية:

بعدما عرفنا العلم والقرآن والسنة والتخصص في الاصلاح.

سنشرع في بحثنا هـذا، في معالجة موضوع التخصص بشكل عام، سواء في الميدان العلمي، والتفرد والتعمق في علم من العلوم -اعم من النقلية والعقلية وغيرها -او في الميدان العملي، وهذا كله من خلال البحث في القرآن الكريم بصورة محورية، وقد نستشهد على ذلك ببعض التطبيقات في السنة الشريفة.

اهمية التخصص في العلوم:

ان التخصص في العلوم يكتسي اهمية قصوى يمكن لنا ان نستشفها من عدة نقاط:

- انه (فكـــر علمي) بكل ما تحمله، وتوحي به، كلمة «علمي» من معنى.
- النـظرة الموضـوعيـة الى المواقـف والاشياء والاقوال بغض النظر عن الاشخاص كما قال الامام علي بن ابي طالب(ع): "لاتعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف اهله"(٩).

(٧) مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٣، ص٦٧.

(٨) لسان العرب، مصدر سابق، ج٧، ص٢٥.

(٩) المجلسي محمد باقر، بحار الانـوار، ج٤٠ص١٢٦.

- القدرة على نقد الذات، والاعتراف بالخطأ، والاستفادة منه وتقويم تجارب الماضي تقويماً عادلاً، بعيداً عن النظرة «المنقبية» التي تنظر الى الماضي على انه كله مناقب ومجاد!.
- استخدام احدث الاساليب واقدرها على تحقيق الغاية والاستفادة من تجارب الغير حتى من الخصوم، فالحكمة ضالة المؤمن، انى وجدها، فهو احق الناس بها.
- اخضاع كل شيء -فيما عدا المسلمات الدينية والعقلية -للفحص والاختبار والرضا بالنتائج، كانت للانسان او عليه.
- عدم التعجل في اصدار الاحكام والقرارات، والاحصاء، وبعد حوار بناء، تظهر معه المزايا وتنكشف المآخذ والعيوب.

احترام التخصص في الاسلام:

لقد اشار القرآن الى احترام التخصص في عدة من ايات القرآن منها: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ [سورة النحل: ٤٣] ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٥٩] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۭ﴾ [سورة فاطر: ١٤].

فللدين اهله، وللاقتصاد أهله، وللعسكرية أهلها ولكل فن رجاله، وخاصة في عصرنا، عصر التخصص الدقيق.

وفي المقابل، نجد أن العالم الحديث يتوجه نحو التخصص في كل العلوم، بل وكيف تنهض أمة يغدو كل فرد من افرادها فقيهاً وطبيباً ومهندساً في آن واحد، حتى يقال إن الأمة التي لاتحترم التخصصات؛ هي أمة لاتحترم نفسها، ولن توفق للنهوض.

لكن احترام التخصص لايعني الدعوة الى تكريس ثقافة الصمت وكم الافواه، انما القضية أن يتحدث الانسان وفق ما يعلم من القواعد المبرهنة، سواء كان متخصصاً او غير متخصص.

ومن اجل توضيح هذا الامر بشكل جيد سنخص الكثير من هذه الايات الكريمة بالتحقيق لنبرهن على صحة ما ادعيناه من احترام الاسلام لمسألة التخصص.

اخطار عدم التخصص:

ان التكلم بغير علم والخوض في جميع المسائل بدون زاد معرفي ولا نظرة علمية امر مذموم في الاسلام بشكل عام كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الاسراء: ٣٦].

وجاء في حديث عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قوله: (من هجم على امر بغير علم جدع انف نفسه ومن لم يعلم لم يفهم ومن لم يفهم لم يسلم ومن لم يسلم لم يكرم ومن لم يكرم يهضم)[١٠].

اما الخوض في مسائل الدين والتحدث فيها والافتاء بغير علم فهذا يعتبر امرا خطيراً جداً لانه يعرض صاحبه ومن اتبع رايه الى الضلال والخسران الدنيوي و الاخروي ولقد شوهد في الماضي ولايزال الى يومنا هذا بعض ممن يدعون العلم والاختصاص في الدين يقولون ويستخرجون بعض النظريات حسب اهوائهم و سلائقهم الشخصية ويريدون تحميلها على الدين، وكم رأينا هؤلاء يقومون بالسطو على افكار الناس وعقائدهم ويتصدون لاجيال الشباب ممن لاحصانة فكرية لهم وخاصة في جانب الدين والعقيدة.

تسرب هؤلاء الوهميون الى الكتاب والسنة وكافة العلوم الاسلامية واخذوا يكيلون بجهلهم لمحصلي الثانويات والكليات ما يشاؤن ومسكين محصل الثانوية و الطالب في الكلية في هذه المراحل جميعاً اذ لا سابقة لهما بذلك فتراه يقرأ في تفسير... ان علياً يشرب الخمر فيؤمن بذلك لما عرف به هذا المفسر انه باحث اسلامي ويقرأ في كتب غيره ان الاسلام حق شريطة تجرده عن الفقهاء فيستقر في نفسه ان الفقهاء دجالون ولاواقعية لهم ولو كان هذا المحصل والطالب من اهل الدراسة لحقيقة على لعلم ان من كتب في حقه هذه الفترة انما حاول اسقاط اعظم مثالي في بني ادم فاذا سقط كل مسلم بسقوطه ولو كان الطالب و المحصل المذكور ان من المتعرفين على

(١٠) كليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، ج١ ص٢٧.

الاسلام والفقه الاسلامي لعلما ان القائل لهم الاسلام حق بشرط تجرده عن الفقهاء انما اراد اسقاط الاسلام نفسه لانه لا قوام للاسلام الا بالفقيه الجامع للشرائط.

والفقيه في اصطلاح اهله هو المتخصص بدراسة الفقه بما يخوله درجة الاجتهاد الرفيعة التي لاتحصل الا بطي مراحل خاصة مجهدة طويلة الشقة.

وعلى اساس هذا الجهل بالقرآن وحتى في قراءة الفاظه والجهل بمصادر تفسيره الشرعي والجهل بهوية المفسر من ناحية مهمته اخذ الجهلاء يتلاعبون بكتاب الله تلاعب الصبيان بالاكر وعلى اساس الجهل بالفقه والفقيه وبالاجتهاد و المجتهد اخذ الجهلاء المذكورون يبرزون ارائهم في الاحكام الشرعية كمجتهدين تامي العيار في صلاحياتهم مع انهم يجهلون كل شيء من الشرع[11].

دراسة بعض الايات المشيرة الى التخصص في القرآن الكريم:

١. الاية الاولى: آية اهل الذكر:

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

- المعنى العام للآية:

ان وظيفة الانبياء ابلاغ رسالة السماء والوحي الالهي، وايصال دعوة الله الى الناس والسعي الحثيث وبالوسائل الطبيعية لتحقيق اهداف الوحي، وليس باستعمال قوى الهية خارقة للسنن الطبيعية لاجبار الناس بقبول الدعوة وترك الانحرافات، و الا فما كان هناك فخر للايمان ولا كان هناك تكامل.

ثم يضيف القول (تأكيداً لهذه الحقيقة): فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون.

الذكر: بمعنى العلم والاطلاع، و((اهل الذكر)) له من شمولية المفهوم بحيث يستوعب جميع العالمين والعارفين في كافة المجالات[12].

من هم اهل الذكر؟.

روي عن الامام علي بن موسى عليه السلام في جوابه عن معنى الآية انه قال: ((نحن

(١١) الكرمي الحويزي، محمد، التفسير لكتاب الله المنير، ج٨، ص٣٦٠.

(١٢) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨ص١٩٧.

اهل الذكر ونحن المسؤولون))[١٣].

وفي تفاسير وكتب اهل السنة روايات تحمل نفس المعنى ايضاً، منها في التفسير الاثنى عشري: روي عن ابن عباس في تفسير هذه الاية، قال: هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم اهل الذكر والعقل والبيان[١٤].

وكما قلنا في ((الذكر)) يعني كل انواع العلم والمعرفة والاطلاع، و((اهل الذكر)) هم العلماء والعارفون في مختلف المجالات، وباعتبار ان القرآن نموذج كامل و بارز للعلم والمعرفة اطلق عليه اسم ((الذكر))، وكذلك شخص النبي صلى الله عليه وآله فهو مصداق واضح ((للذكر)) والائمة المعصومون باعتبارهم اهل البيت النبوة ووارثو علمه صلى الله عليه وآله فهم عليهم السلام افضل مصداق (اهل الذكر).

جاء في كتاب الكافي الشريف في باب ان اهل الذكر الذين امر الله الخلق بسؤالهم هم الائمة عليهم السلام.

عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن عبد الله بن عجلان عن ابي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل- فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الذكر انا والائمة اهل الذكر وقوله عز و جل -وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون قال ابو جعفر عليه السلام-نحن قومه ونحن المسئولون[١٥].

وهذا لا ينافي عمومية مفهوم الآية، ولا ينافي مورد نزولها ايضاً (علماء اهل الكتاب)ولهذا اتجه علماؤنا في الفقه والاصول عند بحثهم موضوع الاجتهاد والتقليد الى ضرورة ووجوب اتباع العلماء لمن ليست له القدرة على استنباط الاحكام الشرعية، ويستدلون بهذه الآية على صحة منحاهم.

وعلى اية حال.. فالآية مبينة لاصل اسلامي يتعين الاخذ به في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية، وتؤكد على المسلمين ضرورة السؤال فيما لايعلمونه

(١٣) العروسي الحويزي، بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج٣ص٥٥.
(١٤) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨ص١٩٧.
(١٥) كليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، ج١ص٢١٠.

ممن يعلمه، وان لا يورطوا انفسهم فيما لايعلمون.

وعلى هذا فان ((مسألة التخصص)) لم يقررها القرآن الكريم ويحصرها في المسائل الدينية بل هي شاملة لكل المواضيع والعلوم المختلفة، ويجب ان يكون من بين المسلمين علماء في كافة التخصصات للرجوع اليهم[١٦].

وينبغي التنويه هنا الى ضرورة الرجوع الى المتخصص الثابت علمه وتمكنه في اختصاصه، بالاضافة الى توفر عنصر الاخلاص في عمله فهل يصح ان نراجع طبيباً متخصصاً على سبيل المثال- غير مخلص في علمه؟!. ولهذا وضع شرط العدالة في مسائل التقليد الى جانب الاجتهاد والاعلمية، أي لا بد لمرجع التقليد من ان يكون تقياً ورعاً بالاضافة الى علميته في المسائل الاسلامية[١٧].

نتيجة:

من خلال تفسير هذه الآية التي تقرر وجوب رجوع المسلمين الى المتخصص في الدين من اجل اخذ الاحكام والعمل فمن باب الاولى ان هذه الآية تدل على وجوب تصدي بعض الاشخاص وتخصصهم في الدين حتى يتسنى للناس الاخذ عنهم.

٢. الآية الثانية آية سورة يوسف:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٤ -٥٥].

المعنى العام للآية:

... يستمر القرآن بذكر القصة (قصة سيدنا يوسف(عليه السلام)) فيقول: وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي وهكذا امر الملك باحضاره لكي يجعله مستشاره الخاص ونائبه في المهمات فيستفيد من علمه ومعرفته وخبرته لحل المشاكل المستعصية.

فاختار يوسف منصب الامانة على خزائن مصر، وقال اجعلني مشرفاً على خزائن هذا البلد فاني حفيظ عليم وعلى معرفة تامة باسرار المهنة وخصائصها قال

(١٦) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨ص٢٠٠.
(١٧) المصدر نفسه، ج٨ص٢٠١.

اجعلني على خـــزائن الارض اني حفيظ عليم[١٨].

اهمية المسائل الاقتصادية والادارية:

رغم اننا لا نتفق مع الرؤية التي تنظر الى الامـور بمنظار واحـد وتحـصر جميع الامور في القضايا الاقتصادية دون اعطاء أي دور للانسان، ولكن برغم ذلك فانه لايمكن غض النظر عن اهمية القضايا الاقتصادية ودورهـا في المجتمعات، و الآيـات السابقة تشير الى هذه الحقيقة، والملاحظ ان يوسف ركز من بين جميع مناصب الدولـــة على منصب الاشراف على الخزانة، وذلـك لعلمه انه اذا نجح في ترتيب اقتصاد مصر، فانه يتمكن من اصلاح كثير من المفاسد الاجتماعية، كما ان تنفيذه للعدالة الاقتصادية يؤدي الى سيطرته على سائر دوائر الدولة وجعلها تحت امرته.

وقـد اهتمت الـروايـات الاسلامية بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً، فمثلاً نرى في الرواية المعروفة المروية عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه جعل (قوام الدين والدنيا) في ركنين: احدهما القضايا الاقتصادية وما يقوم عليه معاش الناس، و الركن الاخر هو العلم والمعرفة.

وبرغم ان المسلمين قد اهملوا هذا الجانب من الحياة الفردية و الاجتماعية الذي اهتم به الاسلام كثيراً وتأخروا عن اعداء الاسلام في هذا الجانب، الا ان يقظة المجتمعات الاسلامية المتزايدة وتوجههم نحو الاسلام يزيد الامل في النفوس بان تزيد من نشاطها الاقتصادي وتعتبره عبادة اسلامية كبرى، وتقوم ببناء نظام اقتصادي مـدروس وفـق خطط محكمة لكي تعود اليهم قوتهم ونشاطهم.

وهنا نقطة اخرى يجب التنبيه عليها، وهي اننا نلاحظ ان يوسف عليه السلام يخاطب الملك ويقول له: اني حفيظ عليم وهذه اشارة الى اهمية عنصر الادارة الى جانب عنصر الامانة وان توفر عنصر الامـــانة والتقوى فقط في شخص لايؤهـله لان يتصـــــدى لاحـــد المناصب الاجتماعية الحساسة، بـل لا بـد مـن اجتـماع ذلك العامل مع العلم والتخصص والقدرة

(١٨) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧ص٢٣٦.

على الادارة، لكونه قرن ال(عليم) مع الـ(حفيظ) و كثيراً ما نشاهد الاضرار الناتجة عن سوء الادارة لاتقل بل تزيد على[١٩] الخسائر الناتجة عن الخيانة!. فهذه التعليمات الاسلامية صريحة في اهمية جانب الادارة والقدرة عليها، ومع ذلك نرى تهاون بعض المسلمين بهذا الجانب، فالمهم لديهم هو نصب الاشخاص الذين يطمئنون الى تقواهم وامانتهم لادارة الامور، مع ان السيرة النبوية الشريفة ﷺ وكذلك سيرة علي عليه السلام ترشدان الى انهما كانا يهتمان اهتماماً كبيراً بالجانب الاداري والقدرة على الادارة مع اهتمامهم بامانة الشخص وسلوكه الحسن[٢٠].

نتيجة:

من هذه الآية ايضاً نستخلص ان القرآن يركز على اهمية التخصص الى جانب الامانة في قضية تسيير الدولة في جميع المجالات.

٣. الآية الثالثة بين موسى وشعيب عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦].

المعنى العام للآية:

جاء موسى الى منزل شعيب، منزل قروي بسيط، منزل نظيف مليء بالروحية العالية، وبعد ان قص عليه قصته، بادرت احدى بنتي شعيب بالقول -وبعبارة موجزة: انني اقترح ان تستأجره لحفظ الاغنام ورعايتها: وقالت يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين.

هذه البنت التي تربت في حجر النبي الكبير، ينبغي ان تتحدث بمثل هذا الحديث الوجيز الكريم، وان تؤدي الكلام حقه باقل العبارات.

ترى من اين عرفت هذه البنت ان هذا الشاب قوي وامين ايضاً؟. مع انها لم تره الا لاول مرة على البئر، ولم تتضح لها سوابق حياته!. والجواب عن هذا السؤال واضح وجلي.. اذ لاحظت قوته وهو ينحي الرعاء عن البئر ويملأ القربة الثقيلة لوحده ويطالب بحق المظلوم، واما امانته وصدقه فقد اتضحا لها منذ ان سارت امامه الى بيت

(١٩) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧ص٢٤١.
(٢٠) المصدر نفسه، ج٨ص٢٤٢.

ابيها، فطلب منها ان تتأخر ويتقدمها، لئلا تضرب الريح ثيابها اضف الى ذلك.. من خلال نقله قصته لشعيب فقد اتضحت قوته في دفعه القبطي عن الاسرائيلي وقتله اياه بضربة واحدة.. وامانته وصدقه.. في عدم مساومته الجبابرة[٢١].

فرضي شعيب عليه السلام باقتراح ابنته، وتوجه الى موسى و ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ ﴾ [سورة القصص: ٢٧].

هذا المضمون نفسه ورد في رواية منقولة في تفسير علي بن ابراهيم، فقال لها شعيب: اما قوته فقد عرفتنيه انه يستقى الدلو وحده، فبم عرفت امانته؟. فقالت: انه لما قال لي تأخري عني ودليني على الطريق فانا من قوم لاينظرون في ادبار النساء عرفت انه ليس من الذين ينظرون اعجاز النساء فهذه امانته.

شرطان ضامنان للادارة القوية:

في العبارة القصيرة التي وردت في الآيات المتقدمة على لسان بنت شعيب في شأن استئجار موسى، كان من اهم الشروط واكثرها اصالة شرطان لخصا في ((القوة))و ((الامانة)).

ومن البديهي ان القوة المذكورة -آنفاً- ليس المراد منها قوة الجسم فحسب، بل القدرة على تحمل المسؤولية ايضاً.

فالطبيب ((القوي الامين)) هو الطبيب الذي له معرفة جيدة وكافيه في عمله، وله تسلط عليه ايضاً والمدير القوي هو الذي يعرف ((اصول الادارة)) ويعرف الاهداف المطلوبة.

وله تسلط في وضع الخطط و((البرامج))، وله سهم وافر في الابتكار وتنظيم الاعمال.. ويعبئ القوى في سبيل الوصول للهدف المعين.

وفي الوقت ذاته يكون مشفقاً وناصحاً وامينا وصادقاً في العمل والاشخاص الذين يقنعون في تحمل المسؤولية وجود الامانة والطهارة فحسب، هم مخطئون بمقدار خطأ من يعتمد على سمة التخصص والعلم فحسب.

فالمتخصصون الخونة والعلماء

(٢١) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢ص٢١٧، ٢١٨.

المنحرفون يضربون ضربتهم كما يضربها المخلصون الذين لاحظَّ لهم من الاطلاع والمهارة في العمل.

واذا اردنا ان نخرب دولة ما فينبغي ان نوكل الامور الى احدى هاتين الطائفتين.. الى مديرين خائنين لـ((الامانة))، او الى المخلصين الذين لاحظ لهم من العلم و الادارة والنتيجة واحدة.

ان منطق الاسلام هو ان يوكل كل عمل الى شخص قوي امين مقتدر، ليصل نظام المجتمع الى الكمال، واذا ما تأملنا في سبب زوال الحكومات في طول التاريخ، و فكرنا في الامر، وجدنا العامل الاصلي هو ايكال الامر الى احدى هاتين الطائفتين اللتين تكلمنا عنهما آنفاً.

ومن الطريف ان منهج الاسلام في جميع الامور انه يقرن ((العلم مع التقوى)) جنبا الى جنب.

فمرجع التقليد لابد ان يكون ((مجتهداً عادلاً)) والقاضي وكذلك القائد يجب ان يكون ((مجتهداً عادلاً))..

وبالطبع فان شروطاً اخرى ينبغي توفرها ايضاً، ولكن اساس هذه الشروط جميعاً شرطان هما ((العلم المقترن بالتقوى والعدل))[٢٢].

نتيجة:

من هذه الآية ايضاً، نحصل على دعم اخر من القرآن الكريم على اهمية التخصص في جميع المسائل، وخاصة المتعلقة منها بتحمل مسؤوليات الامة، وانه دائماً يجب ان تقترن القوة التي تشمل الحزم والتخصص والتسلط الكامل على امور المسؤولية، مع الامانة والاخلاص.

فالتخصص بلا اخلاص ينتج مسؤولاً او حاكماً او عالماً فاسداً قابلاً لأنْ يباع و يشترى والامانة والاخلاص بدون تخصص وتسلط ومهارة تنتج ايضاً مسؤولاً او حاكماً وعالماً فاشلاً بلا راي يمكن ان يستغفل او يخدع في أي وقت.

٤. الآية الرابعة آية النفر:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

(٢٢) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢ص٢١٩.

[سورة التوبة: ١٢٢].

لاشك في ان المقصود من التفقه في الدين هو تحصيل جميع المعارف والاحكام الاسلامية، وهي اعم من الاصول والفروع، لان كل هذه الامور قد جمعت في مفهوم التفقه، وعلى هذا، فان هذه الآية دليل واضح عل وجوب توجه فئة من المسلمين وجوباً كفائياً على الدوام لتحصيل العلوم في مختلف المجالات الاسلامية، وبعد الفراغ من التحصيل العلمي يرجعون الى مختلف البلدان، وخصوصاً بلدانهم واقوامهم، ويعلمونهم مختلف المسائل الاسلامية وبناء على ذلك، فان الآية دليل واضح على وجوب تعلم وتعليم المسائل الاسلامية، وبتعبير اخر فانها اوجبت التعلم والتعليم معاً، واذا كانت الدنيا في يومنا الحاضر تفتخر بسنها التعليم الاجباري، فان القرآن قد فرض قبل اربعة عشر قرناً هذا الواجب على المعلمين علاوة على المتعلمين[٢٣].

استدل جماعة من علماء الاسلام بهذه الآية على مسألة جواز التقليد، لان التقليد انما هو تعلم العلوم الاسلامية وايصالها للاخرين في مسائل فروع الدين[٢٤].

ووجوب اتباع المتعلمين لمعلمين و كما قلنا سابقاً، فان البحث في هذه الآية لا ينحصر في فروع الدين، بل تشمل حتى المسائل الاصولية، وتتضمن الفروع ايضاً على كل حال.

نتيجة:

من البديهي طبعاً ان الاسلام من خلال هذه الآية -عندما يطلب ويوجب على المسلمين ان يكون من بينهم من يتحمل اعباء تعلم الدين، والتخصص في مسائله من اجل تعليمه لبقية افراد اهل دينه -فهو يريد ان يكون هناك علماء مقتدرون و متبحرون في الدين، وهذا لايتأتي الا اذا كانت لديهم قدرة الاستنباط والنظر في الاحكام والقرآن والسنة، وهذا بحد ذاته لايتحقق الا بالتخصص في علوم الدين فروح الآية الكريمة اذن تدعو للتخصص بل توجبه.

٥. الآية الخامسة آية الاذاعة:

(٢٣) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٦ ص٢٦٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ج٦ ص٢٦٨.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

المعنى العام:

تشير هذه الآية الى حركة منحرفة اخرى من حركات المنافقين او ضعاف الايمان، تتمثل في سعيهم الى تلقف أي نبأ عن انتصارالمسلمين او هزيمتهم، وبثه بين الناس في كل مكان، دون التحقيق و التدقيق في اصل هذا النبأ او التأكد من مصدره، وكان الكثير من هذه الانباء لايتعدى اشاعةً عَمَدَ اعداء المسلمين الى بثها لتحقيق اهدافهم الدنيئة وليسيئوا الى معنويات المسلمين ويضروا بهم، واذا جاءهم... امر من الامن او الخوف اذاعوا به[٢٥].

بينما كان من واجب هؤلاء ان يوصلوا هذه الاخبار الى قادتهم كي يستفيدوا من معلومات هؤلاء القادة وفكرهم ولكي يتجنبوا دفع المسلمين الى حالة من الغرور حيال انتصارات خيالية وهمية، اوالى اضعاف معنوياتهم باشاعة انباء عن هزيمة لاحقيقة لها، ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين... يستنبطونه منهم.

يستنبطونه من مادة ((نبط))التي تعني اول ما يستخرج من ماء البئر او الينبوع، و الاستنباط استخراج الحقيقة من الادلة والشواهد والوثائق، سواء كانت العملية في الفقه او الفلسفة او السياسة او سائر العلوم.

اولي الامر في الآية هم المحيطون بالامور القادرون على ان يوضحوا للناس ما كان حقيقياً منها وما كان اشاعة فارغة. وهم النبيﷺ و خلفاؤه من ائمة اهل البيتعليهم السلام بالدرجة الاولى.

ويأتي من بعدهم العلماء المتخصصون في هذه المسائل[٢٦].

روي عن الامام محمد بن علي

(٢٥) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣ص٣٤٨.

(٢٦) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣ص٣٤٩.

الباقر عليه السلام في تفسير اولي الامر في هذه الآية قال: ((هم الائمة))[٢٧].

نتيجة هذه الآية الكريمة ايضاً تبين الاهمية العالية لمسألة التخصص في الدولة الاسلامية، فمعالجة الاخبار والاشاعات ومواجهة التبليغات والاراجيف الهدامة، التي يمكن ان تعصف بكيان الدولة او تعبث بامنها، وليست بالمهمة التي يمكن لكل الناس ان يتصدوا لها، بل هي مسؤولية جهات خاصة في الدولة لها الاهلية والخبرة او قل التخصص اللازم الذي يمكنها من مواجهة مثل هذه الامور والملفات الحساسة، و هو امر تقوم به جهات خاصة في كل الدول وهو يحتاج الى تخصص عال و سنوات من الخبرة والعمل. فالآية تدعو الى عدم القول بغير علم ونشر وترويج الشائعات، بل تدعو الجميع الى الانصات الى حكم المتخصصين في تفسير وتأويل الاحداث والمعلومات والاخذ عنهم.

٦. الآية السادسة شاهد بني اسرائيل:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة الاحقاف: ١٠].

المعنى العام:

التفسير الثالث الذي ارتضاه اكثر المفسرين، هو هذا الشاهد ((عبدالله بن سلام)) عالم اليهود المعروف، الذي امن في المدينة والتحق بصفوف المسلمين[٢٨].

قد ورد -في حديث -ان النبي صلى الله عليه وآله انطلق حتى دخل كنيسة اليهود يود عيدهم، فكرهوا دخوله عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يا معشر اليهود اروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت اديم السماء الغضب الذي عليه)) فسكتوا فما اجابه احد، ثم رد عليهم فلم يجبه احد ثلاثاً، فقال: ((ابيتم، فو الله لانا الحاشر، وانا العاقب، وان المقض، امنتم او كذبتم))ثم انصرف حتى كاد يخرج، فاذا رجل من خلفه، فقال: كما

(٢٧) العروسي، الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٥٢٣.

(٢٨) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٦ص٢٤٩.

انت يا محمد فاقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟. فقالوا: والله مانعلم فينا رجلاً اعلم بكتاب الله ولاافقه منك ولا من ابيك ولا من جدك، فقال: فاني اشهد بالله انه النبي الذي تجدونه مكتوباً في التوراة والانجيل، قالوا: كذبت، ردوا عليه قالوا شراً، فقال رسول الله ﷺ: ((كذبتم، لن يقبل منكم قولكم)) -ولم يكن هذا الرجل غير عبد الله بن سلام -فنزلت الآية[٢٩].

نتيجة:

من هذه الآية نفهم بوضوح مدى ما للعالم المتخصص والمتبحر من نفوذ داخل الامة بحيث يصبح رايه قاطعاً وقاصماً للجدال ومرجحاً في اخطر القضايا وخاصة القضايا العقائدية فقولهم: (والله ما نعلم فينا رجلاً.. الخ) دليل على ان لقول المتخصص ثقلاً كبيراً ووزناً عظيماً في الفصل في القضايا بل ان القرآن جعل كلام المتخصص علامة على صدقية رسالة القرآن حيث قال تعالى في آية اخرى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٧].

٧. بعض الآيات الاخرى في المقام والتي تشير او تمجد اهل العلم و التخصص:

قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة ال عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر: ٢٧ -٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ

(٢٩) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٦ ص٢٥٤.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

بالرغم من ان الآية نزلت في مورد خاص، الا ان لها مفهوماً عاماً، وبملاحظة ان ما يرفع مقام الانسان عندالله شيئان: الايمان، والعلم. وبالرغم من ان ((الشهيد)) في الاسلام يتمتع بمقام سام جداً، الا اننا نقرأ حديثاً للرسول الاكرمﷺ يبين لنا فيه مقام اهل العلم حيث[٣٠] قال: ((فضل العالم على الشهيد درجة، وفضل الشهيد على العابد درجة.. وفضل ((العالم على سائر الناس، كفضلي، على ادناهم))[٣١].

وعن الامام امير المؤمنينعليه السلام نقرأ الحديث التالي: ((من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الانبياء درجة))[٣٢].

وقال تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [سورة الكهف: ٦٥-٦٦].

على حسب بعض اراء بعض المفسرين فان الخضرعليه السلام كان متخصصاً في علوم الباطن.

- تمجيد القرآن للاعمال والحرف والصناعات التخصصية:

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٢ -١٣].

- التخصص في علوم العرفان والباطن:

(٣٠) الشيرازي، مكارم ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨ص١٢٩.
(٣١) العروسي، الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٢٦٤.
(٣٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٤.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل: ٣٨ - ٤٠].

- صرح سليمان لم يكن من عمل السحر والكهنة بل هو من اثر التخصص و المهـــارة والرقي التكنلوجي في بناء القصور:

قال تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [سورة النمل: ٤٤].

- تطبيقات العمل بالتخصص واحترامه والحث عليه في سيرة اهل البيت عليهم السلام:

لا شك لدينا ان العمل بالتخصص والحث عليه كان من الامور التي اكد عليها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله والائمة من اهل البيت عليهم السلام حيث نرى انهم ربوا رعيلاً ممتازاً ومتخصصاً في جميع الفنون ولولا توجيهاتهم وتعليمهم لما كان هناك اثر لهذه العلوم والتخصصات لانهم معدن العلم ومصدره واليهم يرجع كل علم وفضل.

وسنضرب امثلة على ذلك من حياة بعض المعصومين عليهم السلام:

- مناظرة الرجل الشامي مع اهل الاختصاص من اصحاب الامام الصادق عليه السلام.

جاء في رجال الكشي عن محمد بن مسعود عن علي بن محمد بن يزيد عن الاشعري عن ابراهيم بن هاشم عن محمد بن حماد عن الحسن بن ابراهيم عن يونس بن عبد الرحمن عن يونس بن يعقوب عن هشام بن سالم قال: كنا عند ابي عبدالله عليه السلام جماعة من اصحابه فورد رجل من اهل الشام فاستأذن فاذن له فلما دخل سلم فامره ابو عبدالله عليه السلام بالجلوس ثم قال له ما حاجتك ايها الرجل قال بلغني انك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت اليك لاناظرك فقال ابو عبدالله عليه السلام فيما ذا قال في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه

ونصبه ورفعه فقال ابوعبدالله عليه السلام ياحمران دونك الرجل فقال الرجل انما اريدك انت لا حمران فقال ابوعبد الله عليه السلام ان غلبت حمران فقد غلبتني فاقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر ومل وعرض وحمران يجيبه فقال ابوعبد الله عليه السلام كيف رأيت الشامي قال رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء الا اجابني فيه فقال ابوعبد الله عليه السلام ياحمران سل الشامي فما تركه يكشر فقال الشامي أرأيت يا ابا عبد الله اناظرك في العربية فالتفت ابوعبد الله عليه السلام فقال ياابان بن تغلب ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر قال اريد ان اناظرك في الفقه فقال ابوعبد الله عليه السلام يازرارة ناظره فما ترك الشامي يكشر قال اريد ان اناظرك في الكلام فقال يامؤمن الطاق ناظره فناظره فَسَجَلَ الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به فقال اريد ان اناظرك في الاستطاعة فقال للطيار كلمه فيها قال فكلمه فما ترك يكشر فقال اريد اناظرك في التوحيد فقال لهشام بن سالم كلمه فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام فقال اريد ان اتكلم في الامامة فقال -لهشام بن الحكم كلمه يا ابا الحكم فكلمه ما تركه يرتم ولايحلي ولا يمر قال فبقي يضحك ابوعبدالله عليه السلام حتى بدت نواجذه فقال الشامي كأنك اردت ان تخبرني ان في شيعتك مثل هؤلاء الرجال قال هو ذلك ثم قال يا اخا اهل الشام اما حمران فحرفك فحرت له فغلبك بلسانه وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه واما ابان بن تغلب فمغث حقاً بباطل فغلبك واما زرارة فقاسك فغلب قياسه قياسك واما الطيار فكان كالطير يقع ويقوم وانت كالطير المقصوص [لانهوض لك] ((١)) و اما هشام بن سالم قام حبارى يقع ويطير واما هشام بن الحكم فتكلم بالحق فما سوغك بريقك[٣٣].

- اختصاص بعض اصحاب الامام الصادق بالعرفانيات دون غيره من الاصحاب:

جاء في معاني الاخبار عن ابي محمد

(٣٣) مجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ج٤٧، ص٤٠٨، ٤٠٧.

العطار عن سهل عن علي بن سلمان عن زياد القندي عن عبد الله بن سنان عن ذريح المحاربي قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام ان الله امرني في كتابه بامر فاح بان اعلمه قال وما ذاك قلت قول الله عز وجل -ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم((٢)) قال ليقضوا تفثهم لقاء الامام وليوفوا نذورهم تلك المناسك قال عبدالله بن سنان فاتيت ابا عبد الله عليه السلام فقلت جعلني الله فداك قول الله عز وجل -ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم قال اخذ الشارب وقص الاظفار وما اشبه ذلك قال قلت جعلت فداك فان ذريحاً المحاربي حدثني عنك انك قلت له-ثم ليقضوا تفثهم لقاء الامام -وليوفوا نذورهم تلك المناسك فقال صدق ذريح وصدقت ان للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل ذريح[٣٤].

- تخرج جابر بن حيان الكيميائي المعروف عالمياً على يد الامام الصادق اتصل بالامام جعفر الصادق (الامام الخامس بعد علي بن ابي طالب) ت١٤٨هـ، ويقال انه علم الصنعة عنه، وتتلمذ على يديه[٣٥].

٨. **قضية التخصص في الملأ الاعلى:**

من خلال القرآن الكريم يبدو ان قضية التخصص والحث على تنظيم الامور وتعدد المهام لاتختص فقط باهل الارض وعالم الانسان والشهادة بل هي اكثر وضوح وبشكل عملي في عالم الملكوت الاعلى والدليل على ذلك الآيات الكثيرة في القرآن الكريم.

فاذا نظرنا الى عالم الملائكة مثلاً نرى ان لكل منهم تخصص معين في نظام الغيب او الشهادة في شكل مدهش عجيب ومنسق لا مكان فيه للخطأ او النسيان.

- ملائكة قبض الارواح: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٧]، ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى

(٣٤) المصدر نفسه، ج٤٧، ص٣٣٨، رجال الكشي، ص١٢٥.

(٣٥) فروح. عمر -تاريخ العلوم عند العرب-ص٢٤٨. بالاضافة الى كتاب الفهرست ص٤٣٥، وكتاب اعيان الشيعة للامام السيد الامين ص٣٠.

﴿وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة: ١١].

- ملائكة العذاب: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [سورة المدثر: ٣١].
- الكتبة الذين يكتبون اعمال الانسان: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠].
- الملكين الحافظين: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨].
- الملائكة الموكلين بتدبير الامور: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [سورة النازعات: ٥].
- الملائكة الحراس: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [سورة الجن: ٨].
- الملائكة الخاصين بالحرب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [سورة الانفال: ٩].
- خزنة جهنم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة الزمر: ٧١].
- خازن النار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧].
- الملائكة الصافون والمسبحون ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٦٥ -١٦٦].
- ملائكة الوحي: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٥١].
- حملة العرش: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: ١٧].
- اسرافيل: ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [سورة النبأ: ١٨].
- ميكائيل الموكل بالارزاق: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٨].

- جبريل ملك الوحي الخاص: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣].
- روح القدس ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٠٢].

هذا وقد جاء في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة شرح لبعض تخصصات الملائكة حيث قال عليه السلام:

... ثم فتق ما بين السموات العلا فملأهن اطواراً من ملائكته منهم سجود لايركعون وركوع لاينتصبون وصافون لايتزايلون ومسبحون لايسأمون لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الابدان ولاغفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون مترددون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم[٣٦]..

خلاصة البحث:

من خلال هذا البحث المتواضع، وهذه السياحة اللطيفة في بحر القرآن الكريم يتضح لنا ان روح القرآن المجيد، متفقة تماماً مع موضوع التخصص والاتجاه التخصصي، بل ان القرآن الكريم يدعو اليه احياناً يوجبه كما في موضوع الاخذ من العلماء المتخصصين في الدين وتقليدهم، كي تستقيم امور الناس وتنتظم حياتهم اكثر فاكثر.

وقد رأينا بما لايدع مجالاً للشك، ان مسألة التخصص في العلوم عامل مهم في دفع عجلة التطور البشري الى الامام، والعامل المؤثر في الاكتشافات العلمية في شتى الميادين، وعلى العكس من ذلك ان الامة التي لاتسود فيها الروح العلمية ولا تتنوع فيها التخصصات تعتبر امة جامدة، وسيكون خطر التخلف والاضطراب مصيرها اذا توقفت فيها حركة التخصص او جاء الى الريادة من ليس لهم أي حض

(٣٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٩١.

من التخصص او العلمية، ومما يدل على ان امر التخصص امر طبيعي وسنني يحتاج اليه كل النظام في الكون تميز العالم العلوي والامري ايضاً بهذه الميزة و انطباعه بها حيث ابرزنا من خلال آيات القرآن الكريم ان الامور في الملأ الاعلى ايضاً تتنظم من خلال تعدد الاختصاصات في نظام منسق وبديع.

المصادر:

القرآن الكريم.

١- ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، مكتبة آية الله المرعشي النجفي-قم، ١٤٠٤ق، ط١.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ق، ط٣.

٣- الاصفهاني، راغب، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ١٤١٢ق. ١٩٩٢م، ط١.

٤- رضا مؤدب، دروس في علم الدراية، ترجمة قاسم بيضاوي منشورات المركز العالمي للدراسات الاسلامية، قم ١٣٨٤الطبعة الاولى.

٥- الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، المكتبة المرتضوية، النجف، (بي تا).

٦- العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، التحقيق: السيد هاشم رسولي محلاتي، منشورات اسماعيليان، قم، ١٤١٥، الطبعة الرابعة.

٧- الكرمي الحويزي، محمد التفسير لكتاب الله المنير، الطبعة العلمية: ١٤٠٢هق، قم الطبعة: الاولى.

٨- كليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي (ط -الاسلامية)، ٨جلد، دار الكتب الاسلامية -تهران، ١٤٠٧ق، ط٤.

٩- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار (ط -بيروت)، دار احياء التراث العربي -بيروت، ١٤٠٣ق. ط٢.

١٠- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارت فرهنك و ارشاد اسلامي، تهران، ١٣٦٨ش، ط١.

١١- منجد المقرنين ومرشد الطالبين، لشمس الدين ابن الجزري، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م الطبعة الاولى.